

### الفصل الثاني: سوء تقدير لمسار الطيران

كانت هناك ثلاث خطط لمسارات الطيران تم إختيارها لقصف نطنز، كان مسار الخطة الأولى هو العبور فوق أجواء تركيا عن طريق البحر المتوسط، وهذه الخطة كانت ذات أولوية قصوى. ومسار الخطة الثانية كان ذلك الذي يمر في الإجواء بين الحدود السعودية العراقية. أما مسار الخطة الثالثة التي تم دراستها هي العبور عبر الحدود السورية ومن ثم الحدود العراقية. في جميع الحالات سوف يتم انتهاك المجالات الجوية الإقليمية لكل من تركيا أو سوريا والعراق أو المملكة العربية السعودية. كما أن هناك إحتمال لانتهاك المجال الجوي للبنان أو الأردن أيضاً. إلا أن إسرائيل كانت تتجاهل هذين البلدين منذ البداية، فحتى لو حدثت أية انتهاكات من قبل إسرائيل للأردن أو لبنان فإن إسرائيل سوف تتجاهل أي دعوى تتقدم من هذين البلدين.

في الواقع، إن الطريق من إسرائيل إلى إيران بدون انتهاك المجال الجوي لدولة ثالثة حتماً يكون أكثر الطرق أماناً. فيمكن للمقاتلات أن تسلك الطريق الملثوي عبر أعالي البحار حول شبه الجزيرة العربية. بمعنى آخر، يمكن للطائرات التحليق فوق البحر الأحمر والدوران حول بحر العرب ومن ثم الوصول إلى إيران عبر الخليج الفارسي (العربي). على كل حال، لم يكن هذا المسار ضمن حسابات الإسرائيليين عند وضع الخطط، فمسافة الطيران طويلة للغاية بالنسبة للطائرات المقاتلة، كما أن إسرائيل لا تملك حاملات طائرات في المنطقة. فكبار التنفيذيين في الجيش الإسرائيلي يتحسرون على لو أن لديهم حاملة طائرات في بحر العرب لكانت الطلعة الجوية إلى نطنز نفذت منها مباشرة.

على أية حال، تم مقارنة الفروق بين الثلاث مسارات في الخطط الثلاث، فتبين أن أفضل المسارات هو مسار الحدود السورية والعراقية، فهو أقصر طريق وأقلها من حيث المخاطر المادية. ولكن، لم تجد هذه الخطة قبولا منذ البداية، فالنزاع حول

هضبة الجولان لا يزال موضع خلاف بين إسرائيل وسوريا. علاوة على ذلك، إن لسوريا قوة عسكرية قوية في المنطقة، وكان من المحتمل أن تتوسع المسألة إلى حرب واسعة النطاق إذا ما أنتهك المجال الجوي الإقليمي لسوريا. إذاً، كان ينبغي أن يتم اختيار المسار عبر تركيا أو عبر السعودية والعراق! فكانت النتيجة واضحة، تتمثل في إختيار المسار التركي. فهناك علاقة وثيقة بين إسرائيل و تركيا بواسطة الولايات المتحدة تقوم على التعاون العسكري، كما اشترت تركيا أسلحة متطورة من إسرائيل. لذا سوف يكون من السهل على تركيا السماح للطائرات الإسرائيلية بالعبور في أجواءها، وذلك عربوناً على صفقة الأسلحة.

ولكن، ما سر وجود علاقة تعاون عسكري حميمة بين البلدين؟ من الصعب شرح ذلك في عبارة واحدة، لأنها عناصر دبلوماسية متشابكة ومعقدة. ولكن باختصار، إسرائيل و تركيا على حد سواء هما من الدول المؤيدة للولايات المتحدة الأمريكية، وإيران هي عدو لإسرائيل، كما أن إيران تشكل تهديداً محتملاً على تركيا أيضاً. فإذا كان عدو إسرائيل هو في نفس الوقت عدواً لتركيا، هنا تأتي المقولة: "عدو عدوي هو حليف".

بالإضافة إلى علاقاتها الدبلوماسية الحميمة مع تركيا، ترى إسرائيل أن المسار التركي هو الأكثر ملاءمة من حيث تزويد المقاتلات بالوقود جواً. أخذين في الاعتبار، أن أي رحلة جوية تتجاوز 1700 كيلومتر طيران، لا بد لها من تأمين موقع لإعادة تزويد الطائرات بالوقود مرة واحدة على الأقل في طريق العودة. ففي حالة إختيار المسار التركي، سوف لن تحدث أية مشاكل عندما تسلك المقاتلات النفثة المجال الجوي الإقليمي لتركيا، كما يمكن تزويد الطائرات بالوقود بمجرد أن تصل إلى أجواء البحر المتوسط. مع العلم بأنه إذا ما تم إختيار مسار الحدود السعودية العراقية، فمن الضروري أن يتم تزويد الطائرات بالوقود في أجواء الجزيرة العربية، عندها قد تواجه المقاتلات إعتراض من قبل القوات الجوية السعودية.

## الفصل الثاني

لذا، وبعد كل ذلك، اختارت إسرائيل المسار التركي، ومن ثم أرسلت طيارين ومقاتلات إلى قاعدة أمريكية في تركيا تقع بالقرب من الحدود الإيرانية. وقام الطيارين هناك بمناورات تدريبية سرية إستعداداً لقصف نطنز، وقد كانت الإستعدادات لقصف نطنز متقدمة وفي خطأ ثابتة. كان من بين المتدربين في تركيا أولئك الطيارين الثلاثة الذين اقلعوا بمقاتلاتهم في صباح ذلك اليوم.

لقد وقعت فجأةً حادثهً غير متوقعة، فقد تعرضت سفينة تركية صغيرة قادمة من تركيا جنوباً عبر البحر المتوسط للتفتيش من قبل القوات الإسرائيلية في عرض البحر بالقرب من ساحل غزة، وأطلق جندي إسرائيلي النار على السفينة أودت بحياة تسعة أترك، وكانت هذه السفينة تحمل مساعدات للفلسطينيين في قطاع غزة. كانت الحمولة عبارة عن مساعدات إنسانية كالمواد الغذائية والأدوية والملابس. أشتبه على الإسرائيليين بأن السفينة تحمل أسلحة وذخيرة، لقد وقعت المأساة عندما أراد الجنود الإسرائيليون التحقق من حمولة السفينة.

لم تزل إسرائيل محلياً مهددة بالأعمال الإرهابية التي يقوم بها نشطاء متطرفين من منظمة حماس الفلسطينية. وفي نفس الوقت، تظل منشغلة بمواجهة التهديد الخارجي، فالخطر الذي تواجهه من الدول العربية المجاورة لا يزال قائماً، بالإضافة لسيل الانتقادات السياسية التي تواجهها من جانب إيران. إلا أن إنقياد الحكومة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي المتشدد بتأثير جنون العظمة من ناحية، والنجاح الذي حققته إسرائيل من خلال أربعة حروب خاضتها في الشرق الأوسط من ناحية، بنى لدى القادة الإسرائيليين شعور مفرط بالثقة في النفس. مثل هذه المشاعر المتناقضة تولد نوع من التعايش الغريب داخلهم، إنها العاطفة المتناقضة التي ترسبت شيئاً فشيئاً في مخيلتهم، حتى أصبوا يفقدون الإحساس الإنساني الطبيعي. لقد وقع الحادث المأساوي مع السفينة التركية في مثل هذه الظروف.

أصبحت الأصوات في تركيا تنادي بإنقاذ سياسة إسرائيل التعسفية بشدة. قبل عدة سنوات تولى السلطة في تركيا الحزب السياسي الإسلامي، فمنذ ذلك الحين والرأي العام ينادي بحماية الفلسطينيين وإنقاذ الحكومة الإسرائيلية. وقد تسبب هذا الحادث

## الفصل الثاني

في إشعال النار، وإثارة شعور الرأي العام في تركيا حول النزاع السياسي مع إسرائيل. قبل عدة أشهر، أثرت بعض الخلافات السياسية الصغيرة حول سياسة إسرائيل في برنامج تلفزيوني بثته قناة تلفزيونية تركية، على أثره قدمت الحكومة الإسرائيلية اعتراضاً ضد البرنامج وطالبت تركيا بتقديم اعتذاراً رسمياً.

بشكل عام، عندما تبث إحدى القنوات التلفزيونية الأجنبية برنامجاً يتضمن نوع من الإهانة لشعب ما، تقوم الحكومة المتضررة على الفور بتقديم اعتراض لسفير تلك الدولة المعنية بالقناة، هذا هو الإجراء المتبع في الأوساط الدبلوماسية. ولكن في حالة البرنامج التركي، فقد قام النائب الأول لوزير الشؤون الخارجية الإسرائيلي بدعوة السفير التركي لدى إسرائيل إلى مكتبه، وكان حينئذ طاقم التلفزيون الإسرائيلي في انتظاره، حيث قام التلفزيون بتصويره حين دخوله مكتب نائب الوزير الإسرائيلي. في مثل هذه الحالات، كان يجب على الإعلاميين أن يغادروا المكان بمجرد التقاط الصورة الفوتوغرافية أو التلفزيونية، ولكن عندها لم يغادروا المكتب. كما أن من الآداب الدبلوماسية أن يتم تزيين طاولة اللقاء بعلمين لكلا البلدين، إلا أنه كان على طاولة اللقاء علماً واحداً فقط وهو علم إسرائيل.

أثار الشك حفيظة السفير التركي للحظات، ومع ذلك أغمس جسمه في أريكة ضخمة. وكان عندها نائب الوزير يجلس متغطرساً على كرسي مرتفع مخصص للأعمال الكتابية، وكان السفير التركي يبداً جالساً أسفل منه على تلك الأريكة المنخفضة. وبدأ نائب الوزير بتوجيه خطابه للصحفيين الذين أحاطوا به متحدثاً باللغة العبرية، بينما السفير التركي الذي يبداً عليه أنه لا يفهم العبرية، كان في انتظار إنتهاء كلمة نائب الوزير بابتسامة هادئة ودبلوماسية. في الواقع، كان نائب الوزير قد قدم للصحفيين شرحاً وافياً ولكنه مختلفاً تماماً، بينما السفير التركي لم يتمكن من فهم مايدور على الإطلاق. كان يملك الحق في الاعتراض على خطاب نائب الوزير لو أستطاع فهم العبرية ولو قليلاً، أو على الأقل، لو تحدث نائب الوزير باللغة الإنجليزية التي يفهمها السفير أيضاً، كان يمكن له أن يغادر المكان على الفور معلناً بشدة عن إحتجاج بلده على إسرائيل.

إلا أن نائب الوزير الإسرائيلي صرح بغطرسته المستمرة للصحفيين متحدثاً

## الفصل الثاني

بالعبرية وهو يشير بأصبعه إلى السفير التركي قائلاً: أن السفير التركي في غاية الخجل من البرنامج المعادي لليهودية الذي بثته القناة التلفزيونية في بلده، وغرض زيارته اليوم للإعتذار عن ذلك.

وعندما بث التلفزيون هذا التصريح في اليوم التالي، وجرى توضيح مضمون ما أدلى به نائب وزير الخارجية الإسرائيلي، كانت ردة الفعل عارمة في الشارع التركي، وتسببت تلك التصريحات في تعثر العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. ورغم إعتذار الحكومة الإسرائيلية على تصريحات نائب وزير خارجيتها المفرطة الأمر الذي أطفأ إلى حد ما فتيل النزاع، إلا أن الكراهية لإسرائيل انتشرت بشكل سريع بين الشعب التركي.

كان هناك مشكلتان خطيرتان: الأولى هي التصريحات التي أدلى بها نائب وزير الشؤون الخارجية، والأخرى هي جريمة قتل التسعة أترك في سفينة الإغاثة التركية في غزة من قبل الجيش الإسرائيلي. تسببت هاتين المشكلتين في تحويل العلاقات الإسرائيلية التركية إلى طريق اللاعودة. لذا، كان يجب على إسرائيل التخلي عن خطتها في قصف إيران عن طريق تركيا. وأصبح لديها إختيار مسار السعودية والعراق رغم وجود مخاطر عالية.